الشفق

وعلاقته ببعض أوقات الصلاة

الفجر والشفق مشهدان من مشاهد الطبيعة في الملكوت طالما ابتهج بنو آدم عراقيتهما ، وما برح عالمها مصدرا من مصادر الالهام لقلوب الشعراء وأهل البصيرة . وهما - فوق ذلك - ظاهرتان من الظواهر السماوية التي يهم قراءتنا تحقيقها ، لاهميتهما في ذاتهما ، ولعلاقتهما بالشرع الاسلامي في تعيين وقت فريضتي الصبح والعشاء ووقت الامساك في رمضان

وقد التمست (الزهراء) من حضرة صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري أن يتحف قراءها بتحقيق هذا البحث من الوجهة الفلكية مع المقارنة بالنصوص المأثورة عن علماء الفقه الاسلامي ، فتفضل بالمقال التالي :

الشفق ظاهرة سماوية سببها انكسار أشعة الشمس وانعكاس ضوئها عن طبقات الجو المحيط بالكرة الأرضية . وهو الحد الفاصل بين ضوء النهار إذا تجلى وظلمة الليل إذا يغشى

والشفق شفقان : شفق شروق وشفق غروب . فشفق الشروق ذلك الخيط الأبيض الذي يعترض في الفضاء عند ما تكون الشمس تحت دائرة الأفق وقبل أن تشرق ، ويأخذ هذا الخيط بالانتشار في طبقات الجو كلما اقتربت من الأفق الشرقي حتى يتم طلوعها فينجلي النهار . وأما شفق الغروب فهو ذلك الضوء الأحمر الذي ينتشر في الفضاء على الأفق الغربي عند ما تحتجب الشمس تحت دائرته ثم يأخذ في التلاشي شيئاً فشيئاً كلما انحطت حتى إذا بلغ انحطاطها نهايته وتلاشى تماماً يسود الظلام ويسدل الليل أستاره

والشفق إما عرفي وإما فلكي : فالعرفي يبتدئ من غروب الشمس الى الوقت الذي ترى فيه النجوم من القدر الأول بالعين المجردة حيث تكون الشمس تحت

دائرة الأفق الغربى بست درجات . والفلكى يمتد زمنه إلى أن يبلغ انحطاط الشمس تحت دائرة الأفق الغربى تسع عشرة درجة على رأى علماء المسلمين من أهل الرصد والميقات وثمانى عشرة درجة فى قول علماء الرصد من أهل الغرب

ومدة كل من الشفقين ليست واحدة ويتراوح الفرق بينهما من ٢° إلى ٤° لأن شفق الشروق يدوم زمناً أطول من شفق الغروب بقدر الفرق بينهما

وميل الشمس له تأثير كبير فى طول مدة الشفق وقصرها . فانه كلما كان ميلها أقل ـ أى كلما بعدت فى حركتها السنوية عن أحد المدارين واقتربت إلى خط الاستواء ـ قصرت مدة الشفق ، وبالعكس كلما بعدت عن خط الاستواء واقتربت من أحد المدارين أعنى زاد ميلها تطول مدته . وتختلف أيضاً مدة الشفق باختلاف عروض البلدان ومواقعها من سطح الأرض : فالبلاد ذات العروض الكبيرة أى البعيدة عن خط الاستواء شمالاً أو جنوباً تطول فيها مدة الشفق بينما غيرها من البلدان القريبة من خط الاستواء شمالاً أو جنوباً أى ذات العروض الصغيرة تقصر فيها مدته . وتتناهى مدة الشفق فى القصر فى البلاد الواقعة على خط الاستواء تماماً حيث لا تزيد عن ١٦° أى ساعة واحدة وأربع دقائق زمنية . وهناك عوامل أخرى ذات تأثير فى حالة الشفق ومدته وان كانت تجىء فى الدرجة الثانية إلا انها على كل حال لها أثرها : فمنها حالة الجو من الصفاء والاكفهرار ورطوبة الهواء وجفافه وظهور القمر فى الربيع الأول والأخير أعنى فى أوائل الشهر القمرى وأواخره

وقد استكشف العلامة لامبير الفلكى الشهير خطاً أسود يتولد فى الأفق الشرقى بعد غروب الشمس وان الشمس كلما انحطت تحت الأفق الغربى يصعد ذلك الخط من الشرق الى جهة سمت الرأس وتتسع منطقة الظلام الواقعة بين الخط المذكور والأفق الشرقى فتغطى وجه السماء وحينئذ يغيب الشفق . ولعل هذا الخط هو الذى أشير اليه فى الحديث النبوى فى قوله صلى الله عليه وسلم : إذا أدبر

النهار من ههنا (وأشار الى الغرب) وأقبل الليل من ههنا (وأشار الى الشرق) فقد أفطر الصائم

إن ظهور الخط الأسود هذا الذى استكشفه العلامة لامبير فى الأفق الشرقى بعد الغروب يستلزم ظهور خط أبيض وقت السحر - حين تقرب الشمس من الأفق فتكون على (١٨° أو ١٩°) ثمانى عشرة درجة أو تسع عشرة درجة - يطرد الظلام إلى سمت الرأس ويبعده الى الأفق الغربى . وزمان ظهور هذا الخط الأبيض انما هو وقت إمساك الصائمين ولعله المراد من الخط الأبيض المذكور فى قوله تعالى « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر »

ليس لنا بعد أن تكلمنا طويلا ملخصين صفوة ما قيل عن الشفق كظاهرة فلكية إلا أن نذكر بعض أقوال أهل الميقات والرصد فى هذه الظاهرة لعلاقتها المهمة فى تعيين الأوقات ذات الصلة ببعض الفروض الشرعية كصلاة الصبح والعشاء وإمساك الصائم . وقبل أن نأتى على ذكر ذلك نتقدم بخلاصة من أقوال الفقهاء توضح للقارىء مذاهبهم المختلفة فى هذا الصدد :

وقت الصبح

اتفق الفقهاء على ان أول وقت الصبح طلوع الفجر الصادق وآخره طلوع الشمس إلا ما روى عن ابن القاسم وعن بعض أصحاب الشافعى من أن آخر وقتها الإسفار . واختلفوا فى وقتها المختار فذهب الكوفيون وأبو حنيفة وأصحابه والثورى وأكثر العراقيين إلى أن الاسفار لها أفضل . وذهب مالك والشافعى وأصحابه وأحمد بن حنبل وأبو نور وداود إلى أن التغليس لها أفضل

وقت العشاء

اختلف العلماء فى وقت العشاء الآخرة فى موضعين : أحدهما فى أوله والثانى

فى آخره . أما الاول فذهب مالك والشافعى وجماعة إلى أنه مغيب الحمرة . وذهب أبو حنيفة إلى أنه مغيب البياض الذى يكون بعد الحمرة . وسبب اختلافهم فى هذه المسألة اشتراك اسم الشفق فى لسان العرب فانه كما ان الفجر فى لسانهم فجران كذلك الشفق شفقان : أحمر وأبيض . ومغيب الشفق الأبيض يلزم أن يكون بعده فى أول الليل : إما بعد الفجر المستدق من آخر الليل أعنى الفجر الكاذب ، وإما بعد الفجر الابيض المستطير . فالطوالع إذاً أربعة : الفجر الكاذب والفجر الصادق والأحمر والشمس

ولا خلاف بينهم انه قد ثبت فى حديث بريدة وحديث امامة جبريل انه صلى العشاء فى اليوم الأول حين غاب الشفق . وقد رجح الجمهور مذهبهم بما ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى العشاء عند مغيب القمر فى الليلة الثانية ورجح أبو حنيفة مذهبه بما ورد فى تأخير العشاء واستحباب تأخيره وقوله : لولا أن أشق على أمتى لأخرت هذه الصلاة إلى نصف الليل . وأما آخر وقتها فاختلفوا فيه على ثلاثة أقوال : قول انه ثلث الليل ، وقول انه نصف الليل ، وقول انه إلى طلوع الفجر . وبالأول — أعنى ثلث الليل — قال الشافعى وأبو حنيفة وهو المشهور من مذهب مالك . وروى عن مالك القول الثانى أعنى نصف الليل . أما الثالث فقول داود

وقت الامساك

اتفق الأئمة على ان آخر زمن الامساك هو غيبوبة الشمس لقوله تعالى « ثم أتموا الصيام إلى الليل » واختلفوا فى أوله فقال الجمهور : هو طلوع الفجر الثانى المستطير الأبيض لثبوت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعنى حده بالمستطير ولظاهر قوله تعالى : « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض . . . الآية »

وشذت فرقة فقالوا هو الفجر الأحمر الذى يكون بعد الأبيض وهو نظير الشفق الأحمر . وهذا القول روى عن حذيفة وابن مسعود

هذه خلاصة من أقوال أئمة الشريعة الاسلامية ملخصة من كتبهم دون التعرض إلى ذكر أسباب اختلافهم التى لا يتسع لها هذا المقام على ان أغلبها يرجع الى تعدد الآثار واختلافها فى السند والرواية . ونريد الآن أن نُتبع ذلك ـ كما وعدنا آنفاً ـ بأقوال أهل الميقات وما قرروه فى تعيين زمن هذه الأوقات الشرعية :

قال بعض المتقدمين من علماء الميقات والرصد : يغيب الشفق متى كانت الشمس تحت الأفق الغربى بقدر ١٨° ثمانى عشرة درجة . ويبتدىء الفجر حينما تكون الشمس تحت الأفق الشرقى بقدر ١٨° ثمانى عشرة درجة أيضاً

وقال أبو الحسن علي المراكشى ومن تابعه من المتأخرين : يغيب الشفق متى كانت الشمس تحت الافق الغربى بقدر ١٦° ست عشرة درجة . ويبتدىء الفجر حينما تكون الشمس تحت الأفق الشرقى بقدر ٢٠° عشرين درجة

وقال علاء الدين الشهير بابن الشاطر وغيره من أئمة الرصد والهيئة كنصير الدين الطوسى وأبى الريحان البيرونى : ان وقت أكثر اللمان (الإسفار) يكون عند ما تكون الشمس تحت الأفق بقدر ١٨° ثمانى عشرة درجة . ووقت أقل اللمان (الغلس) يكون عند ما تكون الشمس على ٢٠° عشرين درجة تحت دائرة الافق على ان ذلك يختلف باختلاف عرض المكان وصفاء الهواء ووجود القمر وعدم ظهوره

وقال العلامة الشيخ شمس الدين بن المتروبى وابن الطاهر : يكون مغيب الشفق فى ١٨° ثمانى عشرة درجة وظهور الفجر فى ١٩° تسع عشرة درجة

يتبين مما تقدم أن الخلاف بين المتقدمين والمتأخرين من علماء الميقات كبير يتراوح بين ١٦° الى ٢٠° وهذا الفرق لا يقل حسب تقدير الزمن عن ست عشرة دقيقة زمانية أى أربع درجات قوسية وهو كاف لفوات وقت المغرب أو وقت الفجر كما لايخفى فضلا عن وقت الامساك . ولقد ذهب بعض المتقدمين الى القول بالتساوى فى ظهور الشفق وغيابه سواء كان شفقَ شروق أوشفق غروب وهذا لايسلم به كثير من المتأخرين كابن الشاطر ونصير الدين الطوسى وأبى الريحان البيرونى وغيرهم . وإذا كان من بين أقوال من سبق تلخيص أقوالهم من العلماء المتأخرين ماهو أقرب إلى ما أجمع عليه علماء الميقات وإجماعهم ولا ريب لا يمكن أن يعدوَ الصوابَ فهو قول العلامة المحقق الشيخ شمس الدين بن المتروبى لأنه أقرب الأقوال الى الرأى الذى أقره أجلة علماء الرصد والميقات وهو : ان الشمس اذا انحطت عن أفق المغرب ١٧° سبع عشرة درجة غاب الشفق . وإذا صار بينها وبين أفق المشرق ١٩° تسع عشرة درجة طلع الفجر وانقضى الليل . وان وقت الامساك هو عند ما تصل الشمس تحت دائرة الأفق الشرقى الى ٣٠ َ ٢١° إحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ولما كان الفجر يبتدىء فى ١٩° تسع عشرة درجة يكون الامساك متقدماً عليه بدرجتين ونصف أعنى عشر دقائق زمانية

وخلاصة هذا الرأى أن صلاة الصبح تجب عند ما تكون الشمس تحت دائرة أفق الشرق بتسع عشرة درجة أعنى ساعة وست عشرة دقيقة زمانية قبل الشروق . والامساك يحل وقته عند ماتكون الشمس تحت الأفق الشرقى باحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة أعنى ساعة واحدة وستة وعشرين دقيقة زمانية قبل الشروق . ويجب وقت العشاء الأول عند ما تكون الشمس تحت الأفق الغربى بسبع عشرة درجة أعنى ساعة واحدة وثمانى دقائق زمانية بعد الغروب

ويذهب أصحاب التقاويم الفلكية من علماء الميقات إلى أبعد من هـذا فى تقدير مدة الشفق التى لها صلة بالأوقات الشرعية فيتبعون من أجل ذلك الطرق الرياضية المألوفة فى تحرير الزمن وضبطه حسب اختلاف مطالع البلد التى يراعى فيها ميل الشمس وعرض البلد وطوله فيضعون الجداول الدقيقة للأوقات يوماً يوماً بالساعة والدقيقة والثانية .

هذا ما تهيأ لى أيها الصديق الكريم أن أجيب به على سؤالك لى عن « الشفق وعلاقته ببعض أوقات الصلاة » ولعلى أن أكون قد بلغت من الجواب مايقوم بالغاية من السؤال . وفوق كل ذى علم عليم

الخرنفش فى ٢٦ المحرم سنة ١٣٤٣

ع . ح . البكرى

﴿ ساعةُ ابنِ مُزَلِّق ﴾

حدثني شيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله قال :

كان ابن مُزَلِّق من تجار دمشق . وقد ورد عنه في رحلة لأحد أدباء المغاربة الى الشام في القرن الثامن الهجري انه صنع ساعة آليَّةً كبيرة كانت موجودة عند المدرسة الصابونية في دمشق بين جامع السنانية والباب الصغير . وكانت هذه الساعة أعجب ما وجد من نوعها يومئذ ، ولها اشارات خاصة عند الزوال وسائر الأوقات الخمسة

وهذه الرحلة مخطوطة كانت عند أحد المغاربة في دمشق وأعيرت للأمير طاهر الجزائري ففقدت ، ولا تُعرف منها نسخة في مكان آخر . وقد اطلع عليها شيخنا رحمه قبل أن تفقد